

تصدرها أبرشية جبيل والبترون للروم الأرثوذكس
الأحد ٧ شباط ٢٠١٠ العدد ٦
أحد الدينونة (مرفع اللحم)

رَعِيَّتِي

كلمة الراعي أحد الدينونة

هذا هو أحد مرفع اللحم أي الذي نرفع بعده (يوم الإثنين) اللحم عن الموائد، وأسس هذا الأسبوع تمهيدا لدخول الصيام الكامل بعد أسبوع. ويُسمّى "أحد الدينونة" إذ نقرأ فيه إنجيل الدينونة كما ورد في متى. الحديث عن الدينونة يصوّر المسيح جالسا على عرش مجده وحوله الملائكة القديسون ليقوم دائنا للجنس البشري، ويميّز، عند ذلك، الأبرار والأشرار، ويسمّى الأبرار خرافا والأشرار جداء، بالنظر الى لوني هذه الحيوانات. "ويقيم الخراف عن يمينه". واليمين عند الشعوب الشرقية صورة عن التكريم، واليسار صورة عن الغضب.

بعد هذا يصوّر الإنجيلي حديثا بين يسوع والصالحين، وحديثا آخر بينه وبين الخطاة. للأولين يقول: "تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم". أعدّ الله الملك للذين يعرف مسبقا أنهم يستحقونه بسبب أعمالهم الصالحة وليس لأنه شاء اعتباطا منه وتعسفا او بصورة كيفية أن يجعل ناسا في الملكوت وناسا في جهنم. هذه الفكرة كانت منتشرة عند بعض المسيحيين اللاتين وكثيرا عند البروتستانتين التابعين لمذهب كالفين Calvin الى أن تخلّى هؤلاء عنها في القرن التاسع عشر. نحن موقفنا أن الله ينظر مسبقا الى عمل الإنسان الذي يقوم به بحريته.

الى الصالحين يقول: "كنت جاعا فأطعمتموني... وبقية الأعمال الصالحة (عطشت فسقيتموني)". هنا يوحد المسيح نفسه مع الجائع والعطشان والعريان والمريض والسجين، فكأنه كان هو جاعا في الجائع ومريضا في المريض وسجينا في السجين. يدمج السيد نفسه بالمحتاج الى خبز او كساء او تعزية. أنت إذا أردت أن تقدّم شيئا للسيد قدّمه للناس لأن يسوع جعل نفسه واحدا مع الناس. هو فيهم، وخدمتك لهم خدمة له.

للخطاة يقول: "اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية". هنا تأكيد ليس على وجود نار حسيّة. هذه صورة. ولكنه تأكيد على أن عذاب الأشرار في اليوم الأخير انصراف عن وجه الله. الله موجود امام الأشرار، وهم في حضرته، ولكنهم أعداء له. وجودهم في حضرته يكون عذابا لهم.

عما يؤاخذهم؟ "كنت جاعا فلم تطعموني". انكم أهملت الجائع والعطشان والعريان والسجين والمريض. انكم في الحقيقة أهملتوني أنا. لم تشاهدوني في المساكين. انا في السماء، كيف تشاهدوني؟ ما من سبيل الى لقائي ما لم تلاقوا المعوزين بمحبتكم. فإن لم تحبّوهم لا تكونون قد أحببتموني. الإنسان هو مكان لقائك بالله إن كنت حسنا، ومكان إهمالك لله إن كنت سيئا.

ينتج عن تصرّف الصالحين حياة أبدية، وعن تصرّف الأشرار عذاب أبدي لأن أعمال الإنسان تلحقه.

أرادت الكنيسة قبل أن تدخل الصيام أن نفهم أنه فرصة للقاء البشر بالمحبة. الله لا يهّمه إمساكك عن الطعام إلا لتعطي ما لم تأكله الى الذي ليس عنده ما يأكل. فاذا حاكمت نفسك وسلكت صالحا لا يُحاكمك الله.

جاورجيوس مطران جبيل والبترون وما يليهما (جبل لبنان).

الرسالة: ١ كورنثوس ٨:٨-٩:٢

يا إخوة ان الطعام لا يُقربنا إلى الله، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص. ولكن انظروا أن لا يكون سلطانكم هذا معثرة للضعفاء، لأنه إن رآك أحد، يا من له العلم، متكئا في بيت الأوثان، أفلا يتقوى ضميره وهو ضعيف على أكل ذبائح الأوثان، فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح لأجله. وهكذا إذ تُخطئون إلى الإخوة وتجرحون ضمائرهم وهي ضعيفة إنما تُخطئون إلى المسيح. فذلك إن كان الطعام يُشككُ أخي فلا أكل لحمًا إلى الأبد لئلا أشككُ أخي. ألسنتُ أنا رسولًا؟ ألسنتُ أنا حرا؟ أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا؟ ألسنتُ أنتم عملي في الرب؟ وإن لم أكن رسولًا إلى آخرين فإني رسول إليكم، لأن خاتم رسالتي هو أنتم في الرب.

الإنجيل: متى ٢٥:٣١-٤٦

قال الرب: متى جاء ابن البشر في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على عرش مجده، وتُجمع إليه كل الأمم، فيُميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، ويُقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المُعدَّ لكم منذ إنشاء العالم لأنني جُعتُ فأطعمتموني وعطشتُ فسقيتموني وكنتمُ غريبًا فأويتموني وعريانا فكسوتموني ومريضا فعدتموني ومحبوسا فأتيتم إلي. حينئذ يجيبه الصديقون قائلين: يا رب متى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشان فسقينك، ومتى رأيناك غريبًا فأوييناك أو عريانا فكسوناك، ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتيينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه. حينئذ يقول أيضا للذين عن يساره: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدة لإبليس وملائكته، لأنني جُعتُ فلم تطعموني وعطشتُ فلم تسقوني وكنتمُ غريبًا فلم تؤوونني وعريانا فلم تكسوني ومريضا ومحبوسا فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين: يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشان أو غريبًا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك؟ حينئذ يجيبهم قائلا: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوه. فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدية، والصديقون إلى الحياة الأبدية.

محاورة مسيحية-إسلامية

عاش تاوذورس أبو قرّة (+ حوالي عام ٨٣٠) في العصر الذهبي للخلافة العباسية إذ عاصر الخلفيتين هارون الرشيد والمأمون. وُلد حوالي العام ٧٥٠ في مدينة الرها، وأتقن العربية والسريانية واليونانية، واطلع على كافة علوم عصره، وعلى رأسها الفلسفة والمنطق. اعتنق الحياة الرهبانية في دير القديس سابا في فلسطين حيث كان القديس يوحنا الدمشقي توفي منذ سنوات قليلة، وسار على خطاه في ميدان الوعظ والدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية، ثم صار أسقفًا على مدينة حرّان. وترك تاوذورس العديد من المؤلفات اللاهوتية، ولا سيما المؤلفات الدفاعية الموجهة إلى المسلمين والتي توضح حقيقة الإيمان المسيحي لإزالة الالتباسات لديهم. وقد قال عنه أحد المؤرخين الكنسيين، ميخائيل الكبير، أن تاوذورس "كان فيلسوفًا ويجادل بقياس المنطق مع غير المؤمنين، إذ كان يعرف لغة العرب، وكان يحظى بأعجاب الناس البسطاء."

يردّ تاوذورس على تساؤلات المتكلمين (العلماء الدينيين) المسلمين واعتراضاتهم التي تناولت أسس الإيمان المسيحي، وذلك في مجلس الخليفة العباسي المأمون. وفي ردوده يعرض أبو قرّة الإيمان المسيحي الأرثوذكسي، ويصحح الأفكار المغلوطة لدى مجادلبيه بأسطًا التعليم المستقيم الرأي. وقد تشعبت هذه المناظرات إلى عدّة مواضيع، أبرزها التوحيد والتثليث، الخلق والسقوط، التجسد الإلهي، موت المسيح على الصليب وقيامته، التشريع والعبادة.

في دفاعه عن عقيدة الثالوث الأقدس ينطلق ثاوذورس من القرآن نفسه الذي يتكلم على كلمة الله وروحه، فيقول: "كلمة الله وروحه هي منه، وليست هي منفصلة عنه، وهي راجعة إليه". ثم يتوجه إلى سائله المسلم بالقول: "ما الذي يمكن أن تسمي كلمة الله وروحه إلا إلهًا، إذ هما منه وإليه، وكلمته وروحه هي ذاته؟". ويختتم برهانه بالتأكيد على "إنَّ الله وكلمته وروحه إله واحد ومعبود واحد وديان واحد وربّ واحد، جلّ جلاله، فهو عظيم لا يوصف ولا يُحدّ ولا يُدرَك ولا يُنعت". ففي عرضه هذا لا يبتعد ثاوذورس أبو قرّة عن سائر اللاهوتيين العرب المسيحيين، وبخاصّة القديس يوحنا الدمشقيّ.

يعتقد ثاوذورس أنّ السبب الأوّل للتجسّد هو أن يقترب الله من الإنسان، فيتمكّن الإنسان من التعرّف إلى الله، والسبب الثاني الذي لا يقلّ أهميّة هو فداء الإنسان وإنقاذه من سطوة إبليس. لذلك "أرسل الله كلمته وروحه إلى مريم العذراء الطاهرة، فحملت نور الله الذي هو من الله، وظهر متجسّدًا (...). فصار كلمة الله على شبه إنسان بلا خطيئة، وهو إله". ويؤكد أبو قرّة على ألوهة المسيح بقوله: "المسيح كلمة الله وروحه، وإتّه من ذاته وجوهريّته، خالق غير مخلوق". هنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ ثاوذورس يقول عن المسيح إنّه "كلمة الله وروحه"، لأنّ القرآن يقول ذلك عن المسيح. وإقناع المسلمين يستعمل ثاوذورس تعابيرهم وآياتهم القرآنيّة حجّة عليهم.

لم يتوان المجادلون المسلمون عن الاعتراض على ثاوذورس بالاستناد إلى بعض الآيات الإنجيليّة، غير أنّ الأسقف الجليل ردّ حججهم. فحين أتوه بالآية التي يقول فيها الربّ يسوع "إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ٢٠: ١٧)، قال لهم ثاوذورس: "المسيح جاءنا إنسانًا كاملًا وإلهًا كاملًا. فقال لتلاميذه أبي وأبيكم بإلهيّته، وإلهي وإلهكم بالناسوتيّة (طبيعته البشريّة)". ويضيف ثاوذورس إلى كلامه حججًا أخرى، كقوله: "إن كان المسيح أكل الطعام مثل إنسان، فقد أشيع بلاهوته من خمس خبزات سبعة آلاف. وجميع ما احتمله من الوجد والألم بناسوته، وجميع ما عمله من الآيات بلاهوته كان". ويؤكد في خاتمة المطاف على كون الكلمة المتجسّد "لم يضطرّ إلى ترك ما كان عليه (أي ألوهته)".

يوجز ثاوذورس أبو قرّة في كلامه عن صلب المسيح وقيامته اللاهوت المسيحيّ كلّهُ، إذ يقول: "مات المسيح طوعًا. إنّما لم يقض موته عليه، لأنّه قام وأظهر بموته وقيامته حقيقة القيامة العامّة، وكان علّة خلاص البشر". وبالنسبة إلى ثاوذورس ذاق المسيح الموت كي يظهر للناس أنّ بعد الموت تنتظرهم القيامة. وفي هذا السياق، يشبه هذا الأمر بطبيب لديه دواء يشفي الملدوغ بسمّ الأفاعي، "فقال إنّ دوائي هذا نافع جدًّا، فأنكر الناس ذلك عليه. فأقبل يلدغ نفسه طوعًا منه لأجل ثقته بدوائه (...). كذلك فعل سيّدنا المسيح إلهنا، لأنّ الناس ما كانوا يؤمنون أنّ لهم بعد الموت قيامة حتّى شاهدوا ذلك، ورأوا في جسده عيانًا، وكسره أبواب الجحيم، وقيامته من الموت حيًّا، وإماتته الموت، وصعوده إلى السماء بعد ذلك". في الختام يعترض المجادلون المسلمون متسائلين: "لم تعبدون العود الذي صلّب عليه المسيح؟". فيجيب ثاوذورس قائلاً: "معاذ الله أن نعبد غير الذي هو ربّ الصليب". وردًّا على من سألوه: "فلم تعظمون الصليب؟" يجيب أبو قرّة: "علامة سيّدنا يسوع المسيح هي علامة الصليب. وكما قبلنا المسيح بنية صادقة وأمانة خالصة صحيحة، كذلك نقبل صليبه ونعظمه ونعتصم به في جميع أمورنا". فيا ثاوذورس، ما زلنا، نحن المسيحيين العرب، نعظم هذا الصليب ونعتصم به، كي يبقى للمسيح شهود في هذه المنطقة التي عاش فيها من ولادته إلى قيامته. كي يبقى ناطقًا بالعربيّة أيضًا.

من تعليمنا الأرثوذكسي

التلميذ: لماذا نقرأ اليوم إنجيل الدينونة؟

المرشد: الدينونة كما وصفها الرب يسوع في إنجيل اليوم ستكون في اليوم الأخير عندما يأتي الرب بمجد ويدين البشر. اما قراءة إنجيل الدينونة اليوم فهي مناسبة لكل واحد منا ليمتحن نفسه قبل الدخول في الصوم. كيف علاقتنا بالله اليوم؟ وعلاقتنا بالإخوة؟ هل نعيش حسب تعليم يسوع في الإنجيل؟ أين نحن من اقتناء الفضائل المسيحية: التواضع، الصدق، المحبة، اللطف...؟

التلميذ: على أي أساس يمتحن كل واحد نفسه؟

المرشد: على أساس المحبة وعمل الخير كما نقرأ في الإنجيل. يعطينا يسوع أمثلة واقعية حسيّة نخبرها كل يوم: الجوع، العطش، المرض، الحزن، لكنه لم يتكلم عن جوعي وعطشي أنا وحزني أنا. انه يتكلم عمّا يُصيب الآخرين، ويدعونا إلى أن نذهب اليهم ونخدمهم: نطعمهم إن كانوا جياعا، نسقيهم إن كانوا عطاشا، نؤاسيهم إن حزنوا، ونزورهم إن مرضوا. زاد يسوع على ذلك أنه يتماهى مع كل محتاج جوعان، أو عطشان، أو مريض، أو حزين. الفقير الذي نراه هو يسوع. اذا توجّهنا اليه وخدمناه فنحن نخدم يسوع أو لا نخدمه. يبقى الخيار حراً لكل واحد منا. قلنا قبلا ان التوبة تغيير الفكر وتغيير الاتجاه نحو الله. هنا يأتي التطبيق العملي.

التلميذ: ماذا يُطلب منا إذاً؟

المرشد: المطلوب أن نحب يسوع وأن نُعبّر عن محبتنا له بخدمة "أحد إخوته هؤلاء الصغار" كما قال في الإنجيل: الجائع والعطشان، الغريب والمظلوم، المريض والفقير كلهم إخوة يسوع. أعمال الرحمة المطلوبة هذه مرتبطة بالصلاة والصوم والتصرّف الحسن، وإلا فلا تتفع. فترة الصوم مجال مفتوح لتتدرّب على الصلاة والمحبة لتصير هي حياتنا. ولأنّ نعتاد على امتحان الذات وفحص القلب. أن تفحص ذاتك من ناحية الكذب والصدق يعني أن تسعى كل يوم ليتغلب الصدق فيك على الكذب ويصير الصدق من طبيعتك. كذلك التواضع والكبرياء حتى يصير التواضع من طبيعتك، لأنك إن كنت متكبّراً مملوءاً من ذاتك تقول دائماً أنا، أنا، ولن يكون محلّ ليسوع في قلبك .

التلميذ: الله محب وحنون، بذل ذاته من أجل خلاصنا. كيف يرسلنا الى العذاب الأبدي؟

المرشد: الإنسان يرسل نفسه الى العذاب او الى الملكوت لأنه حر، ويبقى حراً حتى اللحظة الأخيرة، حرّ أن يتقبل محبة الله أو يرفضها. حرّ أن يُطعم الجائع ويسقي العطشان ويؤاسي الحزين وبذلك يخدم الرب يسوع نفسه، وحرّ أن يرفض ويعيش على هواه غير مبال بالآخرين وبالرب يسوع.

الأخبار

عيد القديس أنطونيوس

احتفلت رعية القديس أنطونيوس الكبير في فرن الشباك بعيد شفيعتها في ١٧ كانون الثاني، فكانت صلاة الغروب عشية العيد برئاسة سيادة راعي الأبرشية المطران جاورجيوس تلاها افتتاح معرض للأشغال اليدوية والمونة البلدية الى جانب الكتب والأيقونات. أعدت المعرض حركة الشبيبة الأرثوذكسية. وفي الغد القديس الإلهي برئاسة سيادته ايضاً. مما قاله سيادته في العظة:

"كان أنطونيوس الكبير مع يسوع بالروح. كان صالحاً، لكنّه كان مُعذّباً بالتجارب، وبهذا الغليان الذي في جسمه، وهو شاب في الثامنة عشرة ذهب إلى الصحراء وحده يطلب يسوع ليتحد معه.

أنقذه يسوع من وطأة هذه الإغراءات عليه. معنى ذلك أنك إذا أردت أن تكون جيداً، طاهراً، مخلصاً، ولكنك معذّب، عليك أن تعيش مع يسوع بالحقيقة، بصدق، بحيث تفتح قلبك له ليدخل إلى قلبك. لا ينفع أن نحضر القديس، ولا أن نصوم إذا كان القلب مقفلاً لا يدع يسوع يدخل إليه. القصة قصة قلب. أنت تحب يسوع، أي تأخذ هذا الإنجيل وتسير به، أو لا تحبه، أو تتظاهر أنك إنسان متديّن. هذا يقتضي تحوّل من هذا القلب حتى يصير على قدر الإمكان قريباً من قلب المسيح، وقريباً من قلب القديسين.

هذا الراهب العظيم أنطونيوس الذي نعيّد له اليوم استطاع خلال جهود كبيرة أن يطهّر نفسه من كل خطيئة. وأحبّ الشُّبان الذين التحقوا به في الصحراء، وكان يُرشدهم ويُقوّيهم لأنهم ضعاف. وأعطونا صورة عن الحياة الطاهرة حيثما كنا في حياتنا. الرب لا يطلب من كل الناس أن يصيروا رهبانا. حيث ما نكون في تجارتنا، في أعمالنا، في السياسة، حيثما كنا، يريد يسوع أن يسكن في قلبنا ليحمله على صورة قلبه".

بلغراد

انتُخب المطران إيريناوس، مطران نيش، بطريركًا للكنيسة الصربية الأرثوذكسية خلفًا للمثلث الرحمات البطريرك بولس. كان المجمع المقدس الصربي المولف من خمسة وأربعين مطرانًا قد رشّح ثلاثة مطارنة لمنصب البطريرك، ثمّ انتُخب المطران إيريناوس من بينهم بالقرعة. البطريرك الجديد من مواليد ١٩٣٠، تخرّج في اللاهوت من معهد بلغراد ثم الدكتوراه من جامعة أثينا. علّم اللاهوت وصار عميدًا لمعهد اللاهوت في بريزرن (كوسوفو) الى أن انتُخب مطرانًا على أبرشية نيش منذ ٢٥ سنة. وقد جرى تنصيبه يوم الاحد في ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٠. البطريرك إيريناوس المعروف بأنه رجل الاعتدال والحوار هو البطريرك الخامس والأربعون لبطريركية صربيا التي صارت بطريركية مستقلة سنة ١٢١٩.

<http://www.ortmtlb.org.lb>
e-mail: arch@ortmtlb.org.lb
